

مرجعيات العمل الوحدوي المغاربي المشترك (1945-1958)

References for Maghreb unitary action (1958-1945)

حياة بوشقيف

طالبة دكتوراه ، قسم التاريخ جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان.

الملخص:

إن المتتبع لمسيرة نضال الحركات الوطنية المغاربية خلال فترة ما بعد الحرب الكونية الثانية في إطار عملها الوحدوي المشترك تستوقفه عدة محطات تاريخية حول طبيعة هذه العلاقات وتطوراتها، فقد شكلت بداية الأربعينيات وتحديدًا خلال مرحلة ما بعد تأسيس جامعة الدول العربية 1945 حقبة تاريخية هامة بالنسبة للنضال الوطني المغاربي وتجربة حركاته التحريرية، حيث برهنته هذه الفترة قطيعة واضحة بين مرحلة المطالب الإصلاحية والمعاملة اللينة إلى مرحلة أكثر جدية أساسها المطالبة بالتحرر والاستقلال وإقامة الدولة الوطنية ذات السيادة.

الكلمات المفتاحية:

الحركات الوطنية المغاربية؛ المطالب الإصلاحية؛ الاستقلال؛ الدولة الوطنية.

Abstract :

The course of the struggle of the Maghreb national movements during the period after the Second World War within the framework of their joint unitary action is interrupted by several historical stations on the nature of these relations and their developments.

His liberation movements, as this period demonstrated a clear break between the stage of reform demands and soft treatment to a more serious stage based on the demand for liberation, independence and the establishment of a sovereign national state.

Keywords: Maghreb national movements; reform demands; independence; national state.

مقدمة:

لقد أدت التغيرات العميقة على المستوى المحلي والدولي إلى بلورة فكرة الكفاح المسلح في المغرب العربي وظهور إمكانيات جديدة للعمل الوجدوي السياسي بين أحزاب الأقطار الثلاث (تونس- الجزائر، المغرب الأقصى) و العواصم الأوربية والقاهرة، حيث كانت آمال الوطنيين المغاربة من وراء هذه الاتصالات والأعمال المشتركة تهدف بالدرجة الأولى إلى تحقيق الاستقلال لكافة أقطار المغرب العربي الثلاث.

غير أن السياسة الاستعمارية الفرنسية وبحكم تجربتها الطويلة في ميدان الاستعمار وأشكاله، تפטنت لخطورة مثل هذا المشروع الوجدوي وما يشكله من خطر على مستقبل تواجدتها بالمنطقة المغربية، لذلك سارعت إلى وضع إستراتيجية سياسية وعسكرية تهدف من خلالها إلى ضرب التضامن المغربي الذي أكدته مؤتمر طنجة وانتهاجها لسياسة مبنية على مبدأ "فرق تسد" والتي كان هدفها كسر الجبهة المغربية من خلال منحها لتونس والمغرب الأقصى للاستقلال التام سنة 1956 وذلك قصد تحقيق رغبتها الملحة في الاحتفاظ بالجزائر فرنسية.

أولاً: جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية.

حظيت أجهزة التنسيق والأعمال المشتركة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وتأسيس جامعة الدول العربية سنة 1945 بمكانة خاصة من حيث فعاليتها النضالية وخصوبة تجربتها السياسية، ويمكن القول أن تحقيق سبيل النضال السياسي الموحد في أقطار المغرب العربي خلال هذه المرحلة لم يكن بالأمر السهل والممكن تحقيقه إذ تطلب المزيد من المجهودات والنشاطات¹، وفي هذا الصدد يذكر الشيخ الفضيل الورثاني أن بعض السياسيين المغاربة المتواجدين بالقاهرة قد تكتلوا في "جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية" التي تأسست في 18 فيفري 1944 بالقاهرة² تحت رئاسة شيخ الأزهر محمد الأخضر حسين³ وكاتبه الشيخ الفضيل الورثاني، وضمت عدد من المناضلين من جميع أقطار المغرب العربي، حيث انتهت بعقد ميثاق بينها وقع عليه مندوبوها وقد جاء في مقدمة هذا الميثاق ما يلي:

"لما كانت شعوب شمال إفريقيا متجهة نحو وجهة واحدة لمحاربة الاستعمار وبجميع أنواعه والسير نحو الاستقلال، وتثبيت السيادة الوطنية والعمل على وحدة الشمال الإفريقي في دائرة جامعة الدول العربية، وان ممثلي الهيئات السياسية الموقعة على هذا أن يخرجوا هذه الوجهة المتحدة من حيز النظر والعاطفة إلى حيز العمل راجين من المولى تعالى أن يسد خطاهم ويبلغ مناهم"⁴.

وتمثلت أهداف الجبهة أساساً في العمل على تحقيق حرية واستقلال شعوب شمال إفريقيا، وحث شعوب العربية على نصرة قضايا أقطار المغرب العربي⁵، وقد تمحورت مطالبها وغاياتها على النحو التالي:

المادة الأولى: ربيع الأول سنة 1364 هـ الموافق لـ 18 فبراير 1944 م تألّفت هيئة في القاهرة تسمى "جبهة الدفاع إفريقيا الشمالية".

المادة الثانية: أغراض الجبهة:

السعي بالطرق المشروعة لتحقيق حرية واستقلال شعوب شمال إفريقيا (تونس- الجزائر- مراكش).

السعي لضم هذه الشعوب إلى جامعة الدول العربية.

المادة الثالثة: دستور الجبهة (التضامن وتحرير العصبية).

المادة الرابعة: تسعى الجبهة لتحقيق أغراضها بجميع الوسائل المشروعة كإنشاء الصحف وفتح أندية وإيجاد شعب لها في مصر وخارجها إذا اقتضى الحال⁶.

ونظراً لهذه الأهداف والمساعي التي سطرتها جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية حذرت جريدة لوموند الفرنسية من هذه الجبهة قائلة: "أن جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية تضاعفت مناوراتها ومساعدتها، وهي جبهة ثلاثية ألّفت من

الحزب الدستوري التونسي وحزب الشعب الجزائري وحزب الاستقلال المغربي⁷، وما يسجل لهذه الجبهة أنها أدت دورا هاما في التعريف بقضايا المغرب العربي وتوضيحها ونقلها إلى المشرق العربي خاصة عن طريق صحيفة النذير الصادرة بالقاهرة والتي كانت تنشر المذكرات والبيانات المساندة والمتضامنة مع قضايا المغرب العربي⁸.

ثانيا: مؤتمر المغرب العربي.

تحول نشاط الوطنيين المغاربة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية إلى مصر، وقد شعروا بأهمية التنسيق المشترك لمجابهة السياسة الاستعمارية الفرنسية⁹ خاصة بعد أحداث 08 ماي 1945، وأحداث مدينة مكناس سنة 1945¹⁰، الأمر الذي أخرج التضامن المغربي من مرحلة التعاطف إلى مرحلة التنظيم المهيكل بفضل مساعي التنسيق والتوحيد التي بذلها مناضلو المغرب العربي¹¹ الذين بدأوا يفكرون بجدية في ضرورة تنسيق العمل بين الحركات الوطنية المغربية الثلاث لتحقيق مشروع استقلال المغرب العربي الموحد، ومن العوامل التي ساعدت على ذلك هو ظهور الجامعة العربية سنة 1945 كإطار سياسي مساند لقضايا التحرر في البلاد العربية ومنها منطقة المغرب العربي¹². إذ تم في الفترة ما بين 15 و 22 فيفري 1947، عقد مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة برعاية من الجامعة العربية و بحضور ممثلي الحركات الاستقلالية المغربية في الأقطار الثلاثة¹³.

افتتح المؤتمر جلساته بجلسة عامة أقامها يوم السبت¹⁵ فيفري 1945 بالمركز العام لجمعيات الشبان المسلمين تحت رئاسة السيد "عبد الرحمن عزام باشا" الأمين العام للجامعة العربية حيث ألقى فيها كلمة أمام جمع غفير من رجال العرب وزعماء الشرق وتلاه بعدها سكرتير المؤتمر الأستاذ عبد الكريم غلاب وغيره من الوجوه البارزة في المؤتمر¹⁴، ومن أهم التوصيات التي خرج بها المؤتمر:

أ- تقرير الكفاح المسلح في الداخل والخارج لتحقيق الاستقلال والجلء.

ب- تنسيق العمل بين الحركات الوطنية في بلاد المغرب العربي¹⁵.

ولتحقيق ذلك يوصى المؤتمر بما يلي:

1- الاتفاق على غاية واحدة هي الاستقلال التام والجلء.

2- تكوين لجنة دائمة من رجال الحركات الوطنية المغربية مهمتها توحيد الخطط وتنسيق العمل لكفاح مشترك.

3- العمل على توحيد المنظمات العمالية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في الأقطار الثلاثة وتوجيهها توجيها قوميا.

4- ضرورة وقوف الأقطار الثلاثة جبهة واحدة عند حدوث الأزمات في أي قطر منها¹⁶.

كما تدارس المؤتمر أيضا موضوعا حساسا وهاما يتعلق بمسألة تنسيق الأعمال التي تقوم بها مختلف المكاتب المغربية في مصر وتوحيد نشاطها وهيئاتها لتشكيل هيئة واحدة تمتلك الأقطار المغربية الثلاثة، حيث تم الاتفاق على إعلانهم عن ميلاد "مكتب المغرب العربي" الذي تأسس عقب المؤتمر في يوم: 15 فيفري 1947، ومنذ هذا التاريخ حل مكتب المغرب العربي محل الأحزاب المغربية الموجودة في مصر¹⁷.

ثالثا: مكتب المغرب العربي.

وفق القرارات التي خرج بها مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة وتوجيه منها، عمل مكتب المغرب العربي على إيضاح نشاط الحركات الوطنية المغربية الثلاث وتأييد وتوجيه ممارسة نخبها السياسية¹⁸ وذلك قصد تنسيق العمل السياسي وتوحيد الخطط لتنسيق عملية الكفاح المسلح المشترك بين الأقطار المغربية.

ولتحقيق هذه الأهداف اعتمد مكتب المغرب العربي بالقاهرة على الأسلوب الدعائي حيث أنشأ العديد من الفروع¹⁹، وقام بإصدار العديد من النشرات المتعلقة بالشأن المغربي، كما قام بإذاعة دورية خاصة بما يحدث بما ببلاد المغرب العربي والتعليق عليها. ومن جهة أخرى أنشأ المكتب مكتبة ضمت المؤلفات والنشرات المتعلقة بمنطقة المغرب العربي، كما تعددت فروع مكتب المغرب العربي الذي كان مقره الرئيسي بالقاهرة عن العديد من عواصم الدول

(دمشق- بيروت- برلين- نيويورك)، وقد قام المكتب بجهود عديدة للتعريف بقضية الاستعمار في المغرب العربي وكذلك التعبئة من أجل استقلال أقطاره²⁰ ومن أبرز الأعمال التي قام بها المكتب هو ترتيب عملية لجوء الأمير عبد الكريم الخطابي²¹ إلى القاهرة في 30 ماي 1947 والتي تمت بسعي وجهود الجامعة العربية²².

رابعاً: لجنة تحرير المغرب العربي.

يعود الفضل في إنشاء هذه اللجنة إلى المناضل والمجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي بعد عودته من منفاه إلى القاهرة حيث قام بتأسيس لجنة تحرير المغرب العربي يوم: 05 جانفي 1948 وعن ظروف تأسيس هذه اللجنة يقول يحدد علال الفاسي²³ ذلك بالقول: "لم يكن اعتقال 21 عاماً في جو البلاد الحارة في دائرة الضغط الاستعماري العظيم بالذي يضعف من عزيمة المغرب وصنوه الكريم، بل لقد خرج من هذا المنفى وهو أشد ما يكون عزيمة واستعداداً للعمل، ولقد وجد من تجمع ممثلي الحركات الاستقلالية في المغرب العربي مشجعاً على العمل على توحيد الصفوف وتنظيم الجهود ولقد ظلت الحركات المغربية تتطور في أوصار التنسيق والتوحيد المختلفة حتى تكون مكتب المغرب العربي الذي يعتبر من أكبر مظاهر رغبة أبناء المغرب العربي في التعاون على تحرير أوطانهم الثلاثة التي توجد بينها اللغة والدين والجنس والتاريخ والجغرافيا ووحدة المستعمر والأمال في التحرر منه..." ليضيف: "ولقد خطوت في تنفيذ هذه التوصية (يقصد تأسيس اللجنة) وخطوة أولى أثناء وجودي بباريس حيث كونا لجنة اتصال بين الاستقلال والدستور وحزب الشعب، فلما نزل البطل الريفي بالقاهرة اتجهت أنظارنا لتحقيق هذه التوصية..."²⁴.

ومن جهة أخرى حدد الأمير عبد الكريم الخطابي أهداف تكوين هذه اللجنة ومبادئها بالقول: "منذ أن من الله علينا بإطلاق سراحنا ونحن نواصل السعي لجمع كلمات الزعماء وتحقيق الائتلاف بين الأحزاب الاستقلالية في كل من مراكش والجزائر وتونس بقصد مواصلة الكفاح في جبهة واحدة لتخليص البلاد من رقة الاستعمار"²⁵ ... ويسرني أن أعلن أن جميع الذين خابرتهم في هذا الموضوع من رؤساء الأحزاب المغربية ومندوبيها بالقاهرة قد أظهروا اقتناعهم بهذه الدعوة واستجابتهم لتحقيقها، وإيمانهم بفائدتها في تقوية الجهود وتحقيق الاستقلال المنشود..." ليضيف "ولقد كانت الفترة التي قطعناها في الدعوة للائتلاف خيراً وبركة على البلاد، فاتفقت مع رؤساء ومندوبي الأحزاب الذين خابرتهم على تكوين لجنة تحرير المغرب العربي"²⁶.

وهكذا تأسست لجنة تحرير المغرب العربي تحت رئاسة الأمير عبد الكريم الخطابي، أعلن عن ميثاقها في معظم الصحف المصرية²⁷، وقد أمضي هذا الميثاق رئيسها الأمير عبد الكريم الخطابي، وممثلوا الأحزاب الوطنية المغربية²⁸، ومن أهم القرارات والتوصيات التي خرجوا بها ما يلي:

- 1- المغرب العربي بالإسلام كان للإسلام عاش وعلى الإسلام سيعيش في حياته المستقبلية.
- 2- المغرب العربي جزء لا يتجزأ من بلاد العروبة وتعاونه في دائرة الجامعة العربية على قدم المساواة مع بقية الأقطار العربية أمر طبيعي ولازم.
- 3- الاستقلال المأمول للمغرب العربي هو الاستقلال التام لكافة أقطاره الثلاثة.
- 4- لا غاية يسعى إليها قل الاستقلال.
- 5- لا مفاوضة مع المستعمر في الجزئيات ضمن النظام الحاضر.
- 6- لا مفاوضة إلا بعد إعلان الاستقلال.
- 7- على الأحزاب الأعضاء في لجنة تحرير المغرب العربي أن تدخل في مخابرات مع ممثلي الحكومة الفرنسية والإسبانية شرط أن تطلع اللجنة على سير هذه المخابرات أولاً بأول.

8- حصول قطر من الأقطار الثلاثة على استقلاله التام لا يسقط على اللجنة واجبها في مواصلة الكفاح لتحرير البقية²⁹

واستنادا على هذه التوصيات فقد أقرت اللجنة في ميثاقها لأول مرة التعاون الإيديولوجي للمشروع الوجدوي المغربي، حيث تم تبليغ ميثاق اللجنة إلى سفير فرنسا بالقاهرة الذي أبلغ حكومته بهذا الجديد في الوقت الذي كانت منشغلة بجبهات أخرى في مدغشقر والهند، وقد سخرت اللجنة جهودها منذ البداية للعمل السياسي والدبلوماسي وكانت تهدف إلى أعمال أكثر ثورية -مقارنة بمكتب المغرب العربي الذي كان دعائيا وإعلاميا- وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى اتجاه مؤسسها محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي كان يؤمن بالعمل الثوري ضد الاستعمار³⁰.

ومهما يكن من أمر فإن هذه الحماسة المغربية في العمل المغربي المشترك تغلبت عليها النزعة القطرية التي ظلت حاضرة بقوة، وأدت الخلافات السياسية بين الشخصيات والاختلافات في تأويل الأهداف والمبادئ إلى ظهور التنافس والتصدع بين زعامات الحركة الوطنية المغربية³¹.

ولأبأس في هذا المقام طرح جملة من التساؤلات المرتبطة بطبيعة التجربة في حد ذاتها ومدى فاعليتها من حيث تجدير وتطوير فكرة المغرب العربي الموحد.

والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح لماذا لم تعمّر تجربة التنسيق أكثر من ثلاث سنوات؟ إذا اعتبرنا سنة 1949 هي سنة الموت الفعلي لمكتب المغرب العربي ولجانه ومنها لجنة تحرير المغرب العربي؟³²

إن الإجابة على مثل هذا السؤال يجزنا حتما إلى الحديث عن ظهور ملامح التباين الإيديولوجي الذي بدأ يتضح جليا داخل اللجنة وبالتالي تغير وجهات نظر قادة الحركات الوطنية المغربية وأطر نشاطهم الوطني، والملاحظ أن مسألة التنسيق والعمل المشترك لم تطرح كقضية مركزية منفصلة عن الكفاح القطري الخاص لكل قطر، بل قدمت كوسيلة وأداة تضمن سياسة واستراتيجية قطرية، لهذا بقيت رهينة حسابات وأهداف كل قطر من أقطار المغرب العربي، وهو ما أكدته واحد من الذين عايشوا تجربة تلك المحاولات الوجدوية، وساهموا في بناء عناصرها وهو الرشيد إدريس حيث يقول: "وبعد مضي الزمن تبدو الصعوبات التي اعترضتنا طبيعية، لأن نشاطنا كان صدى نشاط حركاتنا في الداخل وهي لم تكن قادرة على الوحدة الكاملة..."³³

ومن هنا يمكن القول أن سنة 1949 قد أظهرت الملامح الإيديولوجية للوطنين المغاربة الذين انقسموا إلى اتجاهين متباينين أحدهما يتمسك بالتزامات مكتب المغرب العربي ولجنته ويتبنى مبدأ الاستقلال الجماعي للأقطار المغربية الثلاثة والآخر يميل للاستقلال القطري³⁴ حيث تزعم الاتجاه الأول رئيس محمد عبد الكريم الخطابي الذي اتخذ الأمور بصورة أكثر جدية، وكانت اللجنة بالنسبة إليه الوسيلة الوحيدة للتحرك والنزوع نحو العمل الثوري، أما الاتجاه الثاني فترجمه رئيس حزب الدستور الجديد والأمين العام للجنة الحبيب بورقيبة الذي بقي وفيا لمبادئ حربه معتمدا على مجموعته الشخصية ذات النزعة القطرية³⁵.

وهذا ما عكسته بيانات وتصريحات بعض قادة الحركات الوطنية المغربية التي عبرت عن رفضها وانتقادها لبعض السلوكات التي مست بجوهر ميثاق لجنته تحرير المغرب العربي³⁶، سيما تلك الصادرة عن محمد بن عبد الكريم الخطابي في موضوع المفاوضات التونسية الفرنسية التي اعتبرت منا قضية لروح ميثاق لجنة تحرير المغرب العربي ومنافيه للتزامات المشتركة الناجمة عنه³⁷ حيث قال: "لهذا كله، نعلن استنكارنا لمشاركة الحزب الدستوري التونسي الجديد في هذه التجربة، ونعتبر هذه المشاركة إخلالا بميثاق لجنة تحرير المغرب العربي واعترافا بأوضاع لا نقرها...وبهمنا أن نؤكد أن لجنة تحرير المغرب العربي التي ينطوي تحت لوائها جميع الأحزاب الاستقلالية المغربية لا تتحمل أية مسؤولية في السياسة التي ينتهجها هذا الحزب ما دامت تحالف مبادئ ميثاقها³⁸.

لقد دخل نشاط مكتب المغرب العربي وأعمال لجنته مرحلة الفتور مع أواخر الأربعينات وبداية الخمسينات كما أضعفت من حماس قيادته وأعضائه التطورات الداخلية لطل قطر وطبيعة المسارات التي بدأت ترسم أمامها³⁹.

وذلك عندما نجحت فرنسا في تفويت الفرصة على العناصر الثورية التي كانت تؤمن بالعمل المسلح وضرورة تعميمه في كامل التراب المغربي حين مسارعتهما في بدء المفاوضات مع تونس والمغرب التي انتهت بمنحها الاستقلال عام 1956⁴⁰. فهل ستكون هناك أجهزة مرجعية أخرى من شأنها أن تساعد على استكمال وبناء وحدة المغرب العربي واستقلاله وتعيد له التزاماته التي كان قد سهما في ميثاق لجنة تحرير المغرب العربي؟ وهل سيكتب لمثل هذه المحاولات الوحدوية النجاح؟ بعبارة أخرى هل يمكن اعتبار مؤتمر الوحدة بطنجة استمرارا لروح تلك التنظيمات أم قطيعة معها؟ وإلى أي مدى خلص المؤتمر بقراراته لنقل فكرة الوحدة في إطارها الحماسي إلى حيز العمل والتطبيق.

لقد دخل نشاط مكتب المغرب العربي وأعمال لجنته مرحلة الفتور مع أواخر الأربعينات وبداية الخمسينات كما أضعفت من حماس قيادته وأعضائه التطورات الداخلية لكل قطر وطبيعة المسارات التي بدأت ترسم أمامها، وذلك عندما نجحت فرنسا في تفويت الفرصة على العناصر الثورية التي كانت تؤمن بالعمل المسلح وضرورة تعميمه في كامل التراب المغربي حين مسارعتهما في بدء المفاوضات مع تونس والمغرب التي انتهت بمنحها الاستقلال عام 1956. فهل ستكون هناك أجهزة مرجعية أخرى من شأنها أن تساعد على استكمال وبناء وحدة المغرب العربي واستقلاله وتعديله التزاماته التي كان قد رسمها في ميثاق لجنة تحرير المغرب العربي؟ وهل سيكتب لمثل هذه المحاولات الوحدوية النجاح؟ بعبارة أخرى هل يمكن اعتبار مؤتمر الوحدة بطنجة استمرارا لروح تلك التنظيمات أم قطيعة معها؟ وإلى أي مدى خلص المؤتمر بقراراته لنقل فكرة الوحدة في إطارها الحماسي إلى حيز العمل والتطبيق؟

خامسا: مؤتمر طنجة المغربي وأثره في تفعيل العلاقات المغربية:

1: دعوة حزب الاستقلال المغربي إلى عقد مؤتمر طنجة:

لقد مثل مؤتمر طنجة المنعقد في أبريل 1958 حدثا مهما في تاريخ الثورة الجزائرية و محطة حاسمة في مشروع وحدة المغرب العربي، فبعد التداعيات و الآثار التي أنتجتها الحرب في الجزائر على دول الجوار منذ السنوات الثلاث لاندلاع الثورة إلى بداية 1958⁴¹، و التفاعلات التي أفرزتها الملباسات و الظروف العربية و الإقليمية منها الوحدة المصرية السورية، و الاعتداءات الفرنسية المتكررة على الحدود و خاصة حادثة ساقية سيدي يوسف التونسية و التعاون الفرنسي الأسباني بضرب الحركة الوطنية المغربية في عقر دارها و القضاء على جيش التحرير المغربي المتواجد في الأراضي الصحراوية، كلها عوامل عجلت بانعقاد المؤتمر و سهلت الطريق نحوه⁴².

وانطلاقا من هذه الظروف و المعطيات السياسية فإن قادة البلدان الثلاث الممثلين في حزب الاستقلال عن المغرب، الحزب الدستوري عن تونس و جبهة التحرير عن الجزائر قرروا عقد مؤتمر قمة لتنقية الأجواء وتكريس العمل الوحدوي فيما بينهم⁴³ وبناء على ذلك جاءت فكرة مؤتمر طنجة الذي دعى إليه السيد علال الفاسي⁴⁴، و بمبادرة من حزب الاستقلال المغربي الذي جاء في مقررات لجنته التنفيذية اثر اجتماعها في مدينة طنجة يوم 02 مارس 1958 توصية بدراسة الوسائل الخاصة بتدعيم التضامن و وحدة المغرب و ذلك بتأسيس اتحاد حقيقي، و توحيد المواقف المغربية ضد الاستعمار الفرنسي⁴⁵.

و تطبيقا لهذه التوصيات قامت اللجنة بإرسال أبوبكر القادري و محمد بناني إلى تونس بتاريخ 17 مارس 1958 للتباحث مع قادة الحزب الدستوري الجديد، و هناك عقدت اجتماعات بين الطرفين من 19 إلى 22 مارس 1958 و ثم الاتفاق خلالها على عقد المؤتمر في طنجة المغربية⁴⁶، و من جهة أخرى توجه السيدان بن المحجوب بن الصديق و عبد الرحمن اليوسفي إلى القاهرة للقيام باتصالات مع جبهة التحرير الوطني و التنسيق معها و إقناعها بالمشاركة في المؤتمر⁴⁷. فيا ترى هل قبلت جبهة التحرير الوطني دعوة المشاركة في المؤتمر و تلبية نداء قادة حزب الاستقلال المغربي؟

2- انعقاد المؤتمر وقراراته.

لقد تمت افتتاحية جلسات المؤتمر علنية بقصر المارشان الملكي بمدينة طنجة يوم 27 أبريل 1958 على الساعة الخامسة و النصف مساء تحت رئاسة زعيم حزب الاستقلال المغربي السيد علال الفاسي⁴⁸، وفي إطار هذه الندوة التي دامت طيلة أربعة أيام كاملة من 27 إلى غاية 30 أبريل 1958 طرحت قضية العمل المغربي الموحد طرحا موضوعيا، و تكاملت عناصر الرؤية لحاضر لمنطقة و مستقبلها⁴⁹، و قد بلغ عدد أعضاء الوفود المشاركة في المؤتمر حوالي 19 عضوا عن ممثلي البلدان الثلاث⁵⁰، كما حضر المؤتمر وفود ملاحظة من قطر وموريتانيا و فرنسا وأمريكا⁵¹، حيث أُلقيت كلمات الافتتاح لممثلي الوفود، فأُلقيت كلمة الوفد المغربي من طرف السيد أحمد بلفريج ثم تلتها كلمة ممثل الوفد الجزائري السيد عبد الحميد مهري، و أخيرا كلمة الوفد التونسي التي ألقاها السيد الباهي الأدغم⁵².

إن قراءة خطاب رؤساء الوفود المشاركة في المؤتمر له من الأهمية ما يوضح لنا المكانة التي حظي بها مطلب استكمال استقلال أقطار المغرب العربي و تمثين تحريرها⁵³، فقد كانت هذه الخطب ترمي في معظمها إلى مساعدة الجزائر على تحقيق استقلالها واستكمال تونس و المغرب شرط سيادتهما الكاملة⁵⁴. و بعد إنهاء ممثلي الوفود الثلاثة من إلقاء خطاب الافتتاح، فإن رئيس المؤتمر السيد علال الفاسي. قام بعرض نقاط حول أعمال المؤتمر التي خرجت بالتوصيات التالية⁵⁵:

- إقرار تقديم المساعدات المالية للجزائر و المشاركة في مجهود الحرب ضد الاستعمار⁵⁶.
- قرار حول حرب الجزائر تم التأكيد فيه على حق الشعب الجزائري الثابت في السيادة و الاستقلال بوصفه الشرط الوحيد لفض النزاع الفرنسي الجزائري.
- دعوة الدول الغربية للكف عن مساندة فرنسا في حربها ضد الشعب الجزائري⁵⁷.
- قرار حول تصفية رواسب الاستعمار الفرنسي في منطقة المغرب العربي⁵⁸.
- و من توصيات المؤتمر أيضا: أن يشكل في المرحلة الانتقالية مجلس استشاري للمغرب العربي منبثق عن المجالس الوطنية المحلية في تونس و المغرب و عن المجلس الوطني للثورة الجزائرية، و مهمته درس القضايا ذات المصلحة المشتركة و تقديم التوصيات للسلطات التنفيذية المحلية⁵⁹.
- تأسيس أمانة دائمة للسير على تنفيذ قرارات المؤتمر، و تؤلف هذه الأمانة من ستة أعضاء بنسبة مندوبين من كل حركة ممثلة في المؤتمر⁶⁰.
- العمل على توحيد منطقة المغرب العربي من خلال اتحاد فدرالي⁶¹.
- يوصي المؤتمر حكومات أقطار المغرب العربي بأن لا تربط منفردة مصير شمال إفريقيا بميدان العلاقات الخارجية و الدفاع إلى أن تتم إقامة الأطر الاتحادية⁶².
- تكوين حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية بعد استشارة حكومي المغرب و تونس.
- إجراء اتصالات دورية بين المسؤولين المحليين للأقطار الثلاثة من أجل التشاور حول قضايا المغرب العربي، و لدراسة تنفيذ التوصيات التي يصدرها المجلس الاستشاري⁶³.

3: إخفاقات المؤتمر

لم يمر وقت طويل حتى انكشفت خلفيات مؤتمر طنجة، فالحكومتان المغربية والتونسية أقلقهما على ما يبدو قرب الإعلان عن تشكيل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية التي لا محيص لهما عن الاعتراف بها، و بالتالي قد تتعقد قضية مطالبهما الترابية⁶⁴، خاصة إذا علمنا أنه بعد المؤتمر بأسبوعين وقع انقلاب 13 ماي 1958، هذا الانقلاب

الذي كان سببا في زوال الجمهورية الرابعة وقيام الجمهورية الخامسة بقيادة الجنرال ديغول⁶⁵ الذي استطاع بفعل سياسته الاغرائية تشجيع حكومتي المغرب و تونس للتوصل من التزاماتها القطرية و التطلع إلى مشروع استثمار صحراء الجزائر لفائدة القطرين المجاورين⁶⁶.

و أمام موقف الجانبين بدأت العلاقة بين البلدان الثلاثة تتأزم عندما كان الاستعداد يجري لعقد أول اجتماع للأمانة الدائمة للمؤتمر في تونس بتاريخ 17-20 جوان 1958 أين عملت كل من تونس و المغرب على عرقلة و إبعاد الجزائر عنه، بل و استفزازها بعدم رفع علمها إلى جانب علمي تونس و المغرب بمطار تونس⁶⁷، و بذلك مثلت جلسات ندوة المهديّة تراجع الحكومتين المغربية و التونسية في التعامل مع قرارات مؤتمر طنجة و التهرب من تنفيذها⁶⁸.

ومهما يكن من أمر، فإن المؤتمر بالرغم من أن نتائجه لم تكن تعكس طموحات شعوب المغرب العربي خاصة و أن النتائج لم يكتب لها النجاح بعد التطورات التي حدثت في المنطقة إثر قدوم الجنرال ديغول إلى الحكم، إلا أنه بالنسبة للثورة الجزائرية يعد حدثا هاما و نصرا دبلوماسيا آخر يضاف إلى انتصاراتها السابقة⁶⁹.

الهوامش:

- (1) معمر العايب، مؤتمر طنجة المغربي دراسة تحليلية تقييمية، دار الحكمة للنشر، الجزائر 2010، ص 47.
- (2) الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، الجزائر عين ميلة، دار الهدى، الجزائر، 1992، ص 276.
- (3) عالم تونسي من أصول جزائرية نشأ في تونس ودرس في الزيتونة والأزهر، ناضل من أجل تحرير تونس والجزائر وعمل على جمع كلمة المناضلين المغاربة في مصر، تولى مشيخة الأزهر الشريف.
- (4) علّال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، الطبعة الخامسة، مؤسسة علّال الفاسي، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب 1993، ص 485.
- (5) عبد الله مقلاتي، العلاقات الجزائرية المغربية إبان الثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962)، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 2007-2008، ص 21.
- (6) عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1945)، الطبعة الأولى، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ص 348.
- (7) الفضيل الورتلاني، المصدر السابق، ص 258.
- (8) المصدر نفسه، ص 276.
- (9) عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص 23.
- (10) معمر العايب، التباين الايديولوجي لقيادات مكتب ولجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة يرهن مشروع مستقبل وحدة المغرب العربي السياسية، دورية كان التاريخية، العدد السادس عشر، يونيو 2012، ص 74.
- (11) عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص 23.
- (12) SLIMANE CHIKH : L'ALGERIE en Armes ou le Temps des certitudes, 2^{ème} édition, CASBAH, Alger 1998, P 487.
- (13) عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص 23.
- (14) محمد عابد الجابري وآخرون، وحدة المغرب العربي، م د ع، الطبعة الأولى، بيروت، جانفي 1987.
- (15) معمر العايب، مؤتمر طنجة المغربي...المرجع السابق ص 48.
- (16) محمد عبد المنعم الشرقاوي، محمد محمود الصياد، ملامح المغرب العربي، الطبعة الأولى، دار المعارف، الاسكندرية، مصر، 1959، ص 239.
- (17) الرشيد إدريس، ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس 1981، ص 103.
- (18) أحمد مالكي، المرجع السابق، ص 454.
- (19) معمر العايب، المرجع السابق، ص 50.

- (20) محمد بلقاسم، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي (1910-1954)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 1994، ص 347.
- (21) محمد عبد الكريم الخطابي (1881-1963)، ورث الزعامة عن والده (عبد الكريم الخطابي) زعيم قبيلة زرياغل التي تقطن جبال الريف المغربية، اشتبك مع الأسبان في أولى معاركه في شهر ماي 1921، بعد انهزام الأسبان وتراجعهم قررت السلطات الفرنسية التدخل لصالح الأسبان ضد الأمير وتمكنت من القضاء على ثورته سنة 1926، ونفيه إلى جزيرة تينيور بالمحيط الهندي، وفي سنة 1947 طلب اللجوء السياسي من سلطات مصر، فسمحت له بذلك حيث تابع نشاطه السياسي. إذ أسهم مساهمة فعالة في أعمال لجنة تحرير المغرب العربي. وكانت مبادؤه كلها تدعو إلى توحيد الكفاح بين جميع أقطار المغرب العربي والتخلص من الاستعمار الغاشم من أجل بناء مغرب عربي موحد لا توجد بينه حواجز أو حدود فاصلة، توفي في مصر سنة 1963، لمزيد من التفصيل أنظر: الموسوعة العسكرية، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979، ص ص 107-108.
- (22) معمر العايب، المرجع السابق، ص 50.
- (23) علال الفاسي (1910-1954): رجل سياسي وعالم اسلامي مغربي مشهور ولد بفاس في يناير 1910 عين رئيسا لحزب الاستقلال عام 1946، بعد عودته من الغابون. في ماي 1947 التحق بالقاهرة إلى جانب الجزائريين والتونسيين داخل إطار لجنة تحرير المغرب العربي، بعد عودته إلى المغرب المستقل 1956 عين رئيسا على حزب الاستقلال في جوان 1961، دخل في الحكومة كوزير للشؤون الاسلامية، توفي عام 1974، لمزيد من التفصيل انظر، أبو عمران الشيخ، معجم مشاهير المغاربة، منشورات حلب، الجزائر 2007، ص ص 369-371.
- (24) أحمد مالكي، المرجع السابق، ص 455.
- (25) عبد الله مقلاني، المرجع السابق، ص 26.
- (26) أحمد مالكي، المرجع السابق، ص 455.
- (27) MAHFOUD KADDACHE, Histoire de nationalisme Algérienne, 2^{ème} édition.E.N.L.Tome2, P983.
- (28) الرشيد إدريس، المصدر السابق، ص 139.
- (29) Benjelloun Abdelmadjid, approche du colonialisme espagnol et le mouvement national marocain dans la zone Khalifienne, édition oflad Rabat ; 1988 P 350.
- (30) معمر العايب، المرجع السابق، ص ص 52-53.
- (31) عبد الله مقلاني، المرجع السابق، ص 24.
- (32) الرشيد إدريس، المصدر السابق، ص 75.
- (33) المصدر نفسه، ص 75.
- (34) الملاحظ أن كل من الحزب الحر التونسي وحزب الاستقلال المغربي، قد تبني مسألة التفاوض القطري الانفرادي بشأن مطلب للاستقلال، وهو ما أثار خلافات داخل مكتب ولجنة تحرير المغرب العربي وعلى رأسها الأمير عبد الكريم الخطابي الذي رفض رفضا قاطعا مسألة التفاوض الانفرادي والتخلي عن مبادئ لجنة تحرير المغرب العربي والتي جاء في أحد أهم بنودها أن الاستقلال المأمول هو الاستقلال التام لكافة أقطاره الثلاث.
- (35) رحيلة عامر، الثورة الجزائرية والمغرب العربي، مجلة المصادر، العدد الأول المركز الوطني للدراسات والمكتب في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 جوان 1999، ص 138.
- (36) أحمد بن عبود، مكتب المغرب العربي في القاهرة أول نواة للوحدة السياسية المغربية، المجلة التاريخية المغربية، العدد 41-42-1986، ص 50.
- (37) أحمد مالكي، المرجع السابق، ص 457.
- (38) بلقزيز عبد الإله وآخرون، الحركة الوطنية المغربية والمسألة القومية (1947-1986) محاولة في التاريخ، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان 1992.
- (39) أحمد مالكي، المرجع السابق، ص 457.
- (40) معمر العايب، المرجع السابق، ص 66.
- (41) عمار بن سلطان وآخرون، المرجع السابق، ص 106.
- (42) معمر العايب، مؤتمر طنجة المحطة الأخيرة لتصفية الاستعمار الفرنسي من المغرب العربي، مجلة الراصد، ع 2، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر 2002، ص 40.

(43) لزهري بديدة، دراسات في تاريخ الثورة الجزائرية وأبعادها الإفريقية، ط1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص 105.

(44) عمار بن سلطان وآخرون، المرجع السابق، ص 106.

(45) عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 2005، ص 416.

(46) محمد الميلي، المغرب العربي بين حسابات الدول ومطامح الشعوب، ط2، دار الكلمة للنشر، بيروت لبنان 1983، ص 53.

(47) معمر العايب، مؤتمر طنجة دراسة تحليلية... المرجع السابق، ص 127.

(48) مريم صغير، البعد الإفريقي للقضية الجزائرية... المرجع السابق، ص 31.

(49) ينظر المجاهد الأسبوعي، مؤتمر طنجة من أجل مغرب عربي متضامن موحد، ع 1191، جوان 1983، ص 19.

(50) معمر العايب، المرجع السابق، ص 137.

(51) محمد خير الدين، مذكرات، ج2، ط2، مؤسسة الضحى، الجزائر 2002، ص 151.

(52) مريم صغير، مواقف الدول العربية من القضية الجزائرية... المرجع السابق، ص 165.

(53) أحمد مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي... المرجع السابق، ص 159.

(54) ينظر المجاهد، ع 34، بتاريخ 14-06-1959، ص 147.

(55) معمر العايب، المرجع السابق، ص 142.

(56) عمار بن سلطان وآخرون، المرجع السابق، ص 107.

(57) عمار بن سلطان وآخرون، المرجع السابق، ص 108.

(58) محمد خير الدين، المصدر السابق، ص 152.

(59) أحمد سعيود، المرجع السابق، ص 149.

(60) ينظر المجاهد الأسبوعي، ع 1191، المرجع السابق، ص 25.

(61) مريم صغير، مواقف الدول العربية... المرجع السابق، ص 166.

(62) المجاهد الأسبوعي، المرجع السابق، ص 25.

(63) غلاب عبد الكريم، المرجع السابق، ص 417.

(64) Abdelhamid Zouzou, les références historiques de l'Etat Algérien (institutions et chartes), Editions Houma, 2005, p 46.

(65) أحمد سعيود، المرجع السابق، ص 151.

(66) عبد الله مقلاتي، العلاقات الجزائرية المغربية... المرجع السابق، ص ص 232-233.

(67) Abdelhamid Zouzou, op, cit, p, 47.

(68) معمر العايب، المرجع السابق، ص 174.

(69) أحمد سعيود، المرجع السابق، ص 152.